

3

تانيس

مدينة من الماضى

بقلم:

بسام الشماع

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠





تانيس
مدينة من الماضى

بقلم :
بسام الشماع



رقم الإيداع	٢٧٤٨ / ٢٠١٣
الترقيم الدولى	ISBN 978-977-02-7704 - 1

١٢ / ٢٠١٠ / ٧

طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع)

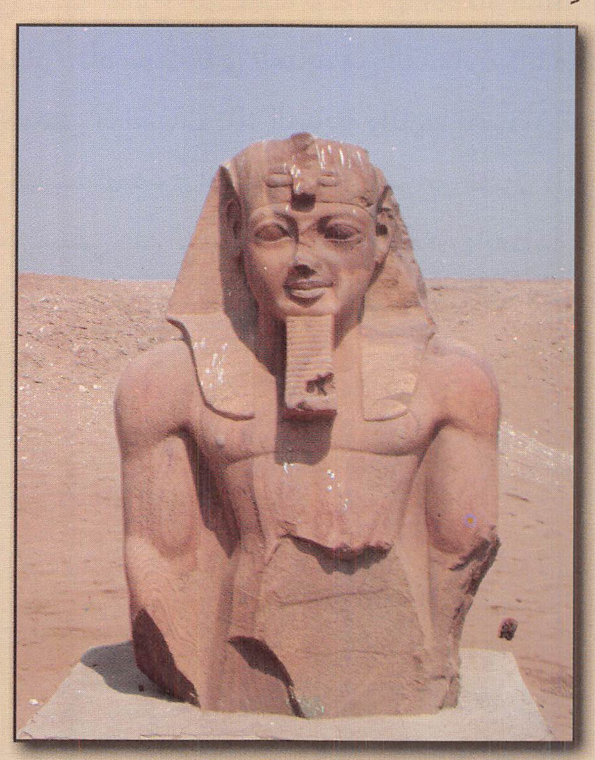
تصميم الغلاف
شريف رضا

تنفيذ المتن والغلاف
بقطاع نظم وتكنولوجيا المعلومات
دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج . م . ع .
هاتف: ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

مقدمة

مدينةُ تَانيس التِى تقعُ بمحافظةِ الشَّرقيةِ هىَ أهمُ موقع أثرىٍّ فِى منَطقةِ شمالِ شرقِ الدِّلتا. وهىَ تَحتوِى علَى آثارٍ عديدةٍ مِن حُقبٍ وأزمنةٍ متباينةٍ جعلتْها بمثابةِ المُتحفِ المفتوحِ .

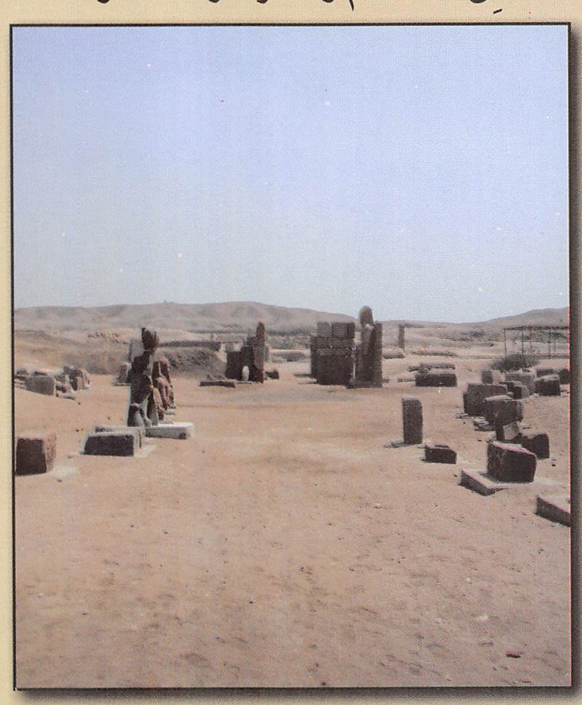


رمسيس الثانى بتانيس

وقدْ تمَّ الكشفُ عنْ آثارٍ فيهَا ترجعُ إلىَ عصورِ الدولةِ القديمةِ والوسطَى، وآثارٍ مِنْ عصرِ رمسيسَ الثَانى الذِى يرجعُ إلىَ الأسرةِ التاسعةِ عشرةَ، وأيضًا تمتلئُ «تانيس» بمقابرَ وآثارٍ ترجعُ إلىَ الأسرَتين الحاديةِ والعشْرين والثانيةِ والعشْرين.

ويستمرُ تاريخُ تانيسَ المتواصلُ إلىَ الأسرةِ الثلاثينَ، حيثُ تمَّ الكشفُ عَن آثارٍ للملكِ نيقتَانبو الأولِ. أمَّا المفاجأةُ الأثريةُ المدوِّيةُ هىَ أنَّ تانيسَ كانتْ مِن المدنِ الحيويةِ والاستراتيجيةِ فِى عصرِ البطالمةِ اليونَان.

مَا هىَ أهميةُ تانيسَ التاريخيةِ؟ ولِمَاذا كانَ كلُّ هذَا الاهتمامِ بهَا لدرجةِ أنهَا استمرتْ لمدةٍ طويلةٍ ترمزُ إلىَ القوةِ والسيطرةِ. أحبَّها ملوكُ مصرَ القديمةِ المختلفونَ وأثْنى عليهَا جموعُ الشَّعبِ، شيَّدَ بهَا الحكامُ المعابدَ والتماثيلَ، بلْ والمسلاتِ والمقابرَ، فأصبحتْ لدىَ العديدِ من القدماءِ مكانًا مقدسًا ذا أهميَّةٍ عقائديَّةٍ. وللتعرُّفِ علَى مواصفاتِ تلكَ المدينةِ وآثارِها يجبُ أنْ ندخلَ معًا دهليزًا مهمًا من دهَاليز التاريخِ المصرىِّ القديم ، فصلٌ آخرُ من فصولِ ذاكرةِ أمتِنا الجليلةِ، ننيرُ نبراسًا مشعًا نستقِى منهُ العلمَ والمَعرفةَ والحكمةَ والعظمةَ.



مدخل معبد آمون وتظهر تانيس فى الخلفية

أصلُ تسميةِ «تانيس» :

ترجعُ تسـميةُ «تانيس» إلىَ كلمةِ هيروغليفيـةٍ قديمةٍ تُنطقُ هكذَا «جَانيت» أو «دجَانيـت»، ثُمَّ عُرِّبَ الاسـمُ (أى سُـمىَ باللغةِ العربيةِ) إلـىَ «صَان الحجرِ» وذلكَ لوجودِ الكثيرِ من الأحجارِ الآثاريةِ فى المنطقة. ويجبُ ألاَّ نخلطَ بينَ مدينةِ «صَـان الحجرِ» ومدينـةِ «صَا الحجرِ» التى كانَ يُطلَقُ عليَها «سـايس» و «صاو»، وهىَ عاصمةُ الأقليمِ الخامسِ فى مصرَ السُّفلىَ، وإبَّان الأسرةِ السادسةِ والعشرين أصبحتْ عاصمةَ البلَادِ، ولذلكَ يُطلقُ الآثاريونَ علَى هذهِ الأسرةِ، الأسرةُ الصاويةُ .

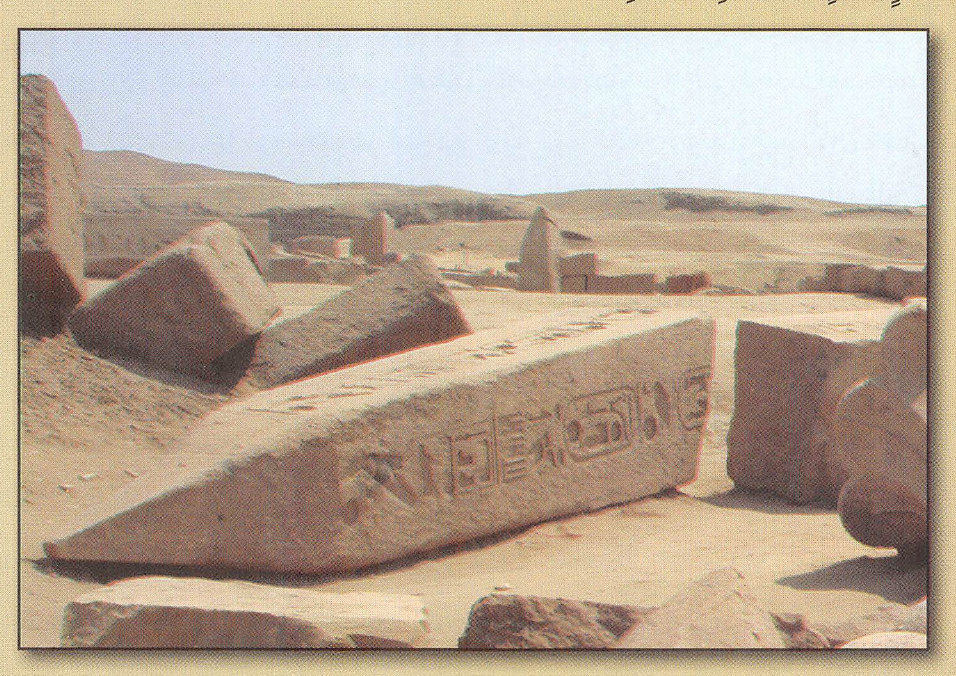
كيفيَّةُ الوصولِ إلىَ تانيس :

من الممكنِ أنْ تأخذَ طريقَ القاهرةِ - بلبيس، ثمَّ تتوقفَ بمنطقةِ «تلِّ بسطةِ» اسمُها القديمُ «باست» و «بوباستيس»، وبهَا أطلالُ معبد كانَ مكرسًا للرَّبةِ القطةِ وعبادتَها. وقدْ كانتْ «باستت» هىَ القطةَ المصريةَ المقدسَةَ التى تُحنطُ لهَا القططُ الحقيقيةُ ويُحتفَلُ بهَا فى معبدِها هنَا فِى الزقازيقِ احتفالاً مهيبًا، حيثُ كانَ يحضرُ الاحتفـالَ حوَالى ٧٠٠ ألفِ وأكثرَ من المحبيِّن لباسـتت. (راجعْ كتابَ المؤلفِ : الاحتفالاتُ والأعيادُ الفرعونيةِ - دارُ المعارف).

ثمَّ تسـتمرَ فِى القيـادةِ عابرًا «هيهيَا» ثمَّ «فاقوس» ثـمَّ «تلَّ الضَّبعةِ» (والتى يُعتقدُ الكثيرُ من المؤرِّخين أنَّها كانتْ العاصمةَ القديمةَ للغزاة الهكسـوسِ عندمَا اسـتقرُّوا فِى الدِّلتا) وكانَ يُطلَق عليهَا آفاريس. وبعدَ ذلكَ سوفَ تجدُ نفسكَ تعبرُ منطقةً هامةً ألاَ وهىَ «عزبة رشدى» والتِى تحتوى علَى بقايَا مدينةِ بهَا معبدٌ كانَ قدْ شُـيدَ فِى زمنِ الملكِ أمنمْحات الأولِ والذِى يرجعُ إلىَ عصرِ الدولةِ الوسـطَى. ثمَّ بعدَ مسـافةٍ ليستْ طويلةً سوفَ تصلُ إلىَ «قنطير» والتِى رشَّحها العديدُ مِن المؤرِخين لتكونَ هىَ عاصمةَ الملكِ الشهيرِ رمسيسَ الثَّانى والتى كانَ يطلقُ عليهَا «بى - رمسيس» أو «بر رمسيس» أى «بيت رمسيس». ثمَّ استمرْ شمالاً حتَّى «تل

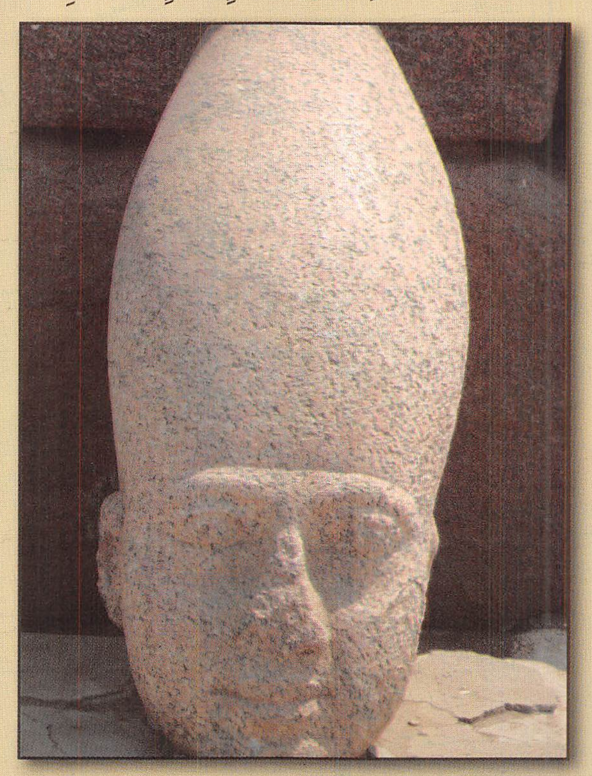
أبو الشـافعة» والتى بهَا قاعدةٌ لتمثالٍ عملاقٍ لرمسيسَ الثّانى. ثمَّ «الحسينيّة» ثمَّ «تل الفراعون» والتى كانَ يُطلق عليهَا «إيكت» ثمَّ بعدَ ذلكَ سُميت «ناباشا» وهى عاصمةُ الأقليم التاسع عشرَ لمصرَ السُّفلى.

وقد اكتشـفَ العالَمُ الآثارىُّ «بترى» عام ١٨٨٦ م بَقايا معبدٍ كانَ مكرسًا للرَّبة الأسطوريَّة «وادجيت» وقدْ كانتِ الرَّبةَ المقدسةَ لمصرَ السفلىَ. وقد اكتشفَ أيضًا آثارًا أخرَى من زمنِ الدَّولةِ الوسطىَ والدولة البطلمية اليونانية. ثمَّ نصلُ أخيرًا إلىَ صانِ الحجرِ أو تَانيس وسوفَ ينتهى بكَ الطريقُ المُسَفلَتُ عندَ تانيس لتجدَ نفسكَ تتسـلقُ تلاً صغيرًا، وعندمَا تصلُ إلىَ أعلاهُ سوفَ تجدُ أمامكَ منظرًا مبهرًا، وكأنَّك فجأةً قدْ رجعتَ آلافَ السنينَ. سوفَ تَرى تماثيلَ ومسلاتٍ ومقابرَ ومعابدَ مُحوَّطةً بسورٍ عازلٍ عن بقيةِ الأرجَاءِ.



مسلة رمسيس الثانى وسور تانيس فى الخلفية

ويَا لهَا مِن مفاجأة. ولكنَّ المثيرَ أيضًا فِى هذهِ الرحلةِ أنكَ قبلَ الوصولِ إلىَ تانيس نفسِها سوفَ تكونُ قدْ مررتَ بعدةِ أماكنَ أثريةٍ غنيةٍ بالتاريخِ والآثارِ القيمةِ.



رأس ملك يرتدى التاج الأبيض - معبد آمون

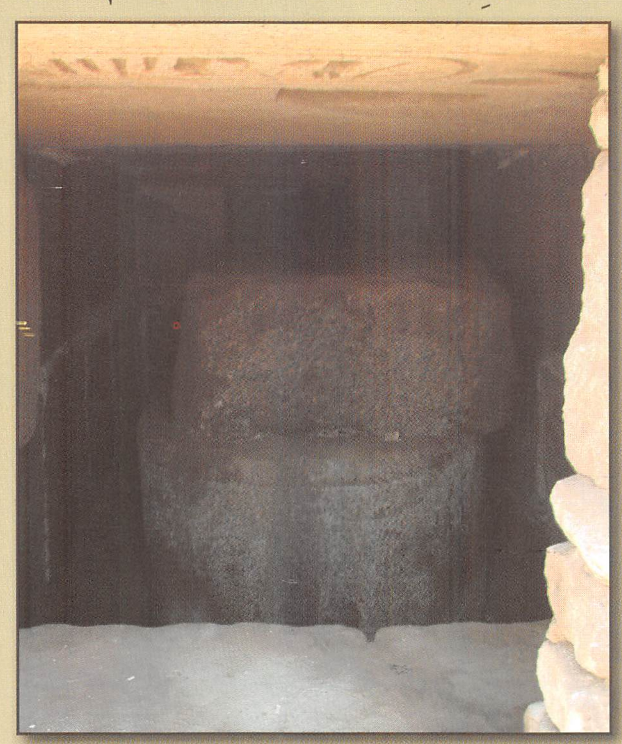
ملوك تانيس :

تمَّ الكشـفُ عنْ أسـمَاء وألقاب ملكيةٍ لأكثرَ من حاكـمٍ فِى تانيس. ويعتقد المؤرخونَ أنَّ بعضَهم شـيَّد وبنىَ بالفعلِ فِى تانيس والبعضَ الآخرَ استسهلَ الأمرَ فأتىَ بأحجارٍ وآثارٍ مشـيدةٍ بأيدِى حكام قبلَه ثمَّ وضعَ اسـمَه وألقابَه عليَها حتَّى يحتفظَ بهَا لنفسِه. وهذَا مَا حدثَ بالفعلِ معَ آثارِ الملكِ رمسيس الثَانى الذِى نقلَ آثارَه ملوكُ الأسرَتين الحاديةِ والعشرينَ والثانيةِ والعشرينَ الليبيَّتىْ الأصلِ .

وهكذا نجدُ أنَّ تانيس تحتوى علَى مجموعةِ أسماءٍ وآثارٍ مختلفة لمْ تتوفرْ فِى مكانٍ واحد حتَّى فِى أهمِ المدنِ المصريِّة القديمةِ. وهذَا مَا يجعلُ تانيس مُجمعًا متفردًا ونادرًا تغلبُ عليهِ الصفاتُ العقائديَّةُ والسِّياسيةُ والاجتماعيَّةُ فى آنٍ واحدٍ. وقدْ تعانقتِ الأسماءُ المصريَّةُ والأجنبيَّةُ هنَا رغمَ اختلافِ الأزمنةِ والأصولِ. تانيس هىَ توأمةٌ تاريخيةٌ نادرةٌ.

غرائبُ مقَابر تانيس :

من الغريبِ حقًا أنَّه رغمَ فخامةِ ومساحةِ تانيس كمدينةٍ ذاتِ أهميةٍ فى العصورِ القديمةِ - إلاَّ أنَّ كلَ مقَابر الملوكِ الذينَ اختاروهَا لتكونَ مثواهُم الأخيرَ، هىَ مقابرُ متواضعةٌ جدًا فى الحجم والفنِ المعمارىِّ ونوعيَّةِ الألوانِ المستخدمةِ ومستوى النحتِ والتشييد. والذى يجعلُنا نتعجبُ أكثَر هوَ أنَّ التوابيتَ والمتعلقاتَ الجنائزيةَ التى تمَّ الكشفُ عنهَا داخلَ تلكَ المقَابر كانتْ علىَ مستوىً عالٍ جدًا من الفنِ والثراءِ فى المعَادن المستخدمةِ. فلقد تمَّ الكشفُ عن توابيت ملوكٍ مصنوعةٍ من معدنِ الفضةِ التى كانتْ أغلَى من الذهبِ



تابوت داخل مقبرة متواضعة للملك الليبى

وذلكَ لندرتِها وصعوبةِ الحصولِ عليهَا (أجملُ مثالٍ للتابوتِ الفضىِّ التانيســىِّ هو تابوتُ الملكِ الليبىِّ «حكا - خع - خبر شيشونق»).

وقد فسَّر العلامةُ المصرىُّ القديرُ سليمُ حسن فى موسوعتِه الشهيرةِ: «موسوعةُ مصرَ القديمةِ» تلكَ الأطروحةَ علَى أنهَا نتيجةُ قيامِ العمالِ المنوطِينَ بقطعِ الأحجارِ فِى محاجرِهَا ونقلِها إلىَ تانيس بإضرابٍ، فلمْ يتوفرْ للملكِ العمالةُ والكفاءاتُ الكافيةُ لبنــاءِ مقبرتِه وذلكَ لامتناعِ العمالِ عــنِ العملِ والقيامِ بمهامِهم. ومن الواضح أنَّ الفنانينَ المسئولينَ عَنْ صنعِ التوابيتِ الملكيةِ والأثاثَ الجنائزىِّ والأقنعةَ الذهبيَّةَ للمتوفَّى كَانوا فى أوجِ ازدهارِهم ونشاطِهم بعكسِ عمالِ المحاجرِ. فانتهىَ الأمرُ بنَا إلىَ هَذا الخليطِ المثيرِ العجيبِ مَا بينَ مقابرَ فقيرةٍ وتوابيتَ براقةٍ ثريةٍ.

وصفٌ تفصِيلىٌّ لتانيس:

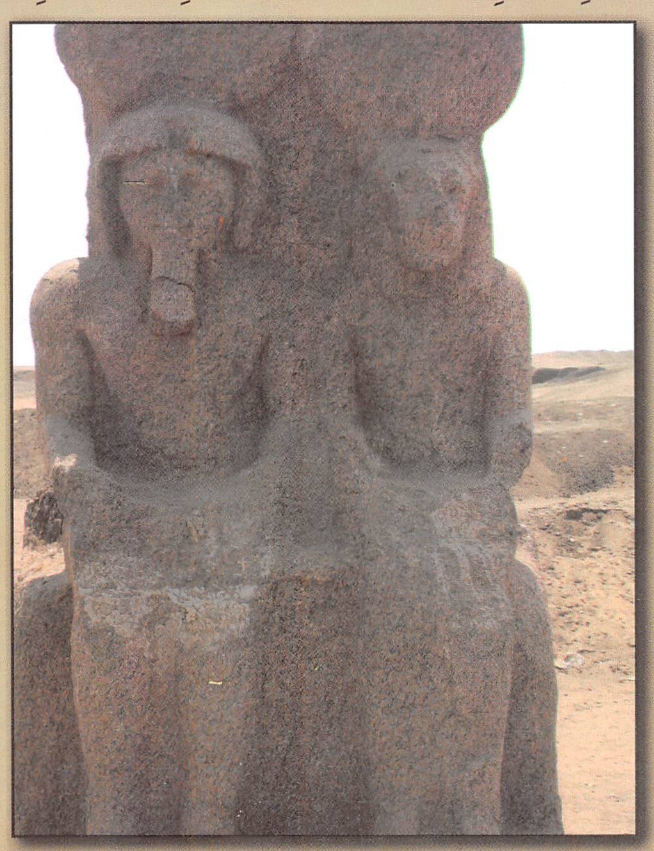
المعابدُ :



مدخل معبد آمون بتانيس

تتميزُ تانيس بوجودِ العديدِ من المعَابد التِى شُيدتْ فِى أزمنةِ ملوكِ الأسرَتين الحاديةِ والعشرين والثانيةِ والعشرين ولكنَّهم استخدمَوا تماثيلَ وأحجارَ ومسلاتِ الملكِ رمسـيس الثَّانى وذلكَ لكبـرِ حجمِها المبهرِ وجمالِ النحـتِ وكفاءةِ قطعِ الأحجارِ الجرانيتيِّةِ فى عصرِه.

فهنَاك معبدُ الرَّبِّ الشمسـىِّ الأسـطُورىِّ آمونَ. وقدْ تمَّ الكشـُف عنهُ وترميمُ وإعادةُ تشييدِ جزءٍ من الصَّرحِ الأولِ وهوَ المبنَى الذى يشكلُ البوابةَ الرئيسـيَّةَ للمعبدِ الكبيرِ. وهناكَ أيضاً معبدُ الرَّبَّةِ الأسطوريَّةِ «موت» وهىَ



تمثال الربة الأسطورية موت (على شكل أنثى الأسد «سخمت»)
بجانب الملك – معبد موت بتانيس

زوجةُ «آمون» فِى الأسـطورةِ. وقدْ تمَّ الكشفُ عَنْ تمثالٍ كبيرٍ من الجرانيتِ الوردىِّ للرَّبَّةِ الأسـطوريَّةِ «موت» علَى هيئةِ أنثىَ الأسدِ. ويوجدُ أيضًا معبدُ «حورس» الرَّبُّ الصَّقرُ. ومَازالَ هناكَ العديدُ من المفاجآتِ التاريخيةِ المخبئةِ تحتَ رمالِ تانيس.

المسـلات :

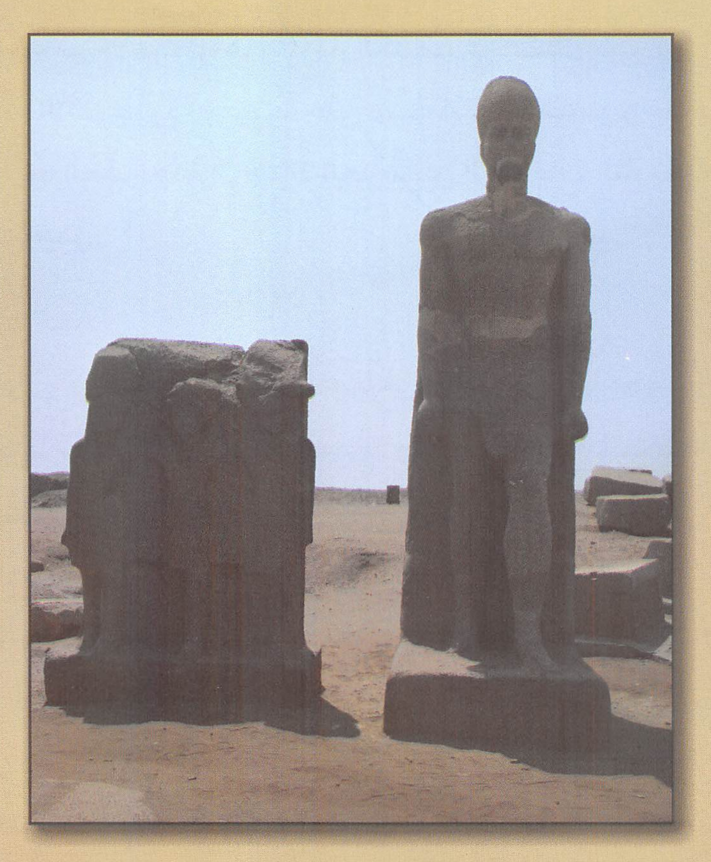
هناكَ حوَالى ١٧ مسلةً تمَّ الكشفُ عنها فِى تانيس. وأغلبُها محطَّمٌ إلى جزأينِ أوْ أكثر، ولكنَّها فى حالةٍ ممتازةٍ من الحفظِ. وقدْ نُحِتَ علَى المسلاتِ العديدُ من المناظِرِ الملكيةِ والنصوصِ العقائديِّةِ والخراطيشِ الملكيَّةِ. والمسلةُ هىَ رمزٌ دينىٌّ لهُ علاقةٌ بالشَّمسِ والاحتفالاتِ بأبديةِ الملكِ وإعادة بعثه.

وهذهِ الأجزاءُ المتناثرةُ من المسلاتِ الجميلةِ تعطيكَ الانطباعَ وكأنَّ القدماءَ قد تركُوا تانيس للتَّوِّ. ولمْ يعودوا لترتيبِ تلكَ المسلاتِ كَمَا كانتْ مِن قبلُ، وهوَ شعورٌ يعودُ بالزائرِ لتانيس إلىَ المَاضى.

ورغمَ كثرةِ مسلاتِ الملكِ «رمسيس الثَّانى» هنَا إلاَّ أنَّه يوجدُ شىءٌ فريدٌ يميزُ واحـدةً منها؛ فبعدَ وقوعِ إحدَى هذهِ المسـلاتِ وجـدَ المنقبونَ أنَّ رمسيس الثَّانى كتبَ اسمَه الملكىَّ علَى قاعدةِ المسلةِ السفلَى ليحفظَ حقَّه فِى ملكيتها رغمَ تأكدِه أنَّ لاَ أحدَ سـوفَ يرَى هذَا الاسـمَ لأنَّه عندمَا تُشيدُ المسَلةُ سوفَ يكونَ الاسمُ المكتوبُ أسفلَ المسلةِ ملتصقًا بالقاعدةِ الحجريةِ الأرضيةِ للمسلةِ.

تماثيل:

تحتلُ تماثيلُ رمسيس الثَّانى أماكنَ كثيرةً فِى تانيس. وتتميزُ هذه التماثيلُ بالضخامةِ والدِّقةِ فِى النحتِ وتُظهِرُ الملكَ وهوَ مفتولُ العضلاتِ، قوىُّ الجسدِ،



الملوك والأرباب الأسطوريون فى وئام ومحبة – معبد آمون

واضحُ المعالمِ وجميلُ القسماتِ. وعندَ مدخلِ معبدِ آمون الرئيسىِّ وعلَى يمينِ الداخلِ نجدُ تَمثالاً منحوتًا مِن قطعةٍ واحدةٍ من الجرانيتِ الوردىِّ لثلاثة أربابِ أُسطوريِّينَ وهُم «آمون» وزوجتُه «موت» وابنهمَا «خونسو». ووجودُ هذه المجموعةِ هنَا يؤكدُ أنَّ تانيس كانَ لهَا قوةٌ دينيةٌ مثلُ طيبة، وذلكَ لأنَّ هذَا الثالوثَ (آمون وموت وخونسو) هوَ نفسُه ثالوثُ طيبةِ الدينىِّ الشهيرِ. وبالتَّالى نستطيعُ أن نؤكدَ أنَّه إذَا كانتْ طيبةُ (الأقصر) هى المدينةُ الأقوىَ فى الجنوب، فقدْ كانت تانيس هىَ المسيطرةَ والمهيمنةَ علَى مجرياتِ الأمورِ السياسيَّةِ



خراطيش رمسيس الثانى وألقابه الملكية عند مدخل المعبد

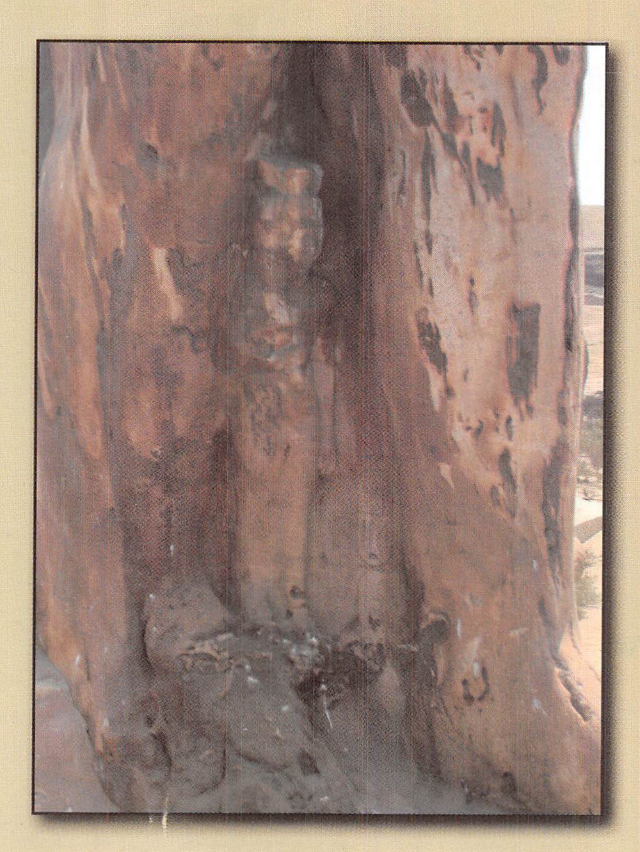
والعقائديَّةِ فى تلكَ الفترةِ فى الشَّـمالِ. وعلَى ظهرِ تمثالِ الثالوث يوجدُ عددٌ كبيرٌ من الخراطيشِ الملكيةِ للملكِ رمسيس الثَّانى. وعلَى نفسِ الجانبِ وبعدَ أحجارِ الصَّرحِ الأولِ للمعبدِ سوفَ تجدُ حجرًا أبيضَ ناصعَ البياضِ. وهوَ ظاهرٌ جدًا لأنَّه يتوسطُ مجموعةً من أحجارِ الجرانيتِ الوردىِّ منقوشًا عليهِ خراطيشُ الملكِ شيشونق الأولِ وهوَ من ملوكِ الأسرةِ ٢٢ وقد حكمَ من عام ٩٤٥ حتَّى عَام ٩٢٤ قبلَ الميلادِ. وفِى منتصفِ الفناءِ يوجدُ تمثالٌ هامٌ جدًّا للملَكِ رمسيسَ الثَّانى وترجعُ أهميتُه إلىَ ذلكَ التمثالِ الصغيرِ المنحوتِ بين رِجْلَىْ الملك وهوَ لابنته الشهيرةِ «ميريت - آمون» أىْ محبوبةِ آمونَ الرِّبِّ الشمسىِّ الأسطورىِّ، وقدْ نُحتَ اسمُها فى خرطوشِ ملكىٍّ يُتوِّجُه لقبُها الملكىُّ. وعلَى الناحيةِ الأخرَى منْ رِجْلَىْ التمثالِ يوجدُ تمثالٌ آخرُ لزوجةٍ من زوجاتِ رمسيسَ الثَّانى، وكانتْ



أسماء شيشونق داخل خراطيش ملكية مقلوبة

سـوريَّةَ الأصلِ، من قادش. وقد نُحِتَ اسـمُها داخلَ خرطوشٍ ملكىٍّ ممَا يؤكدُ تبجيلهَا واحترامَها. ومن الممكنِ قراءةُ اسمِها كالآتى:

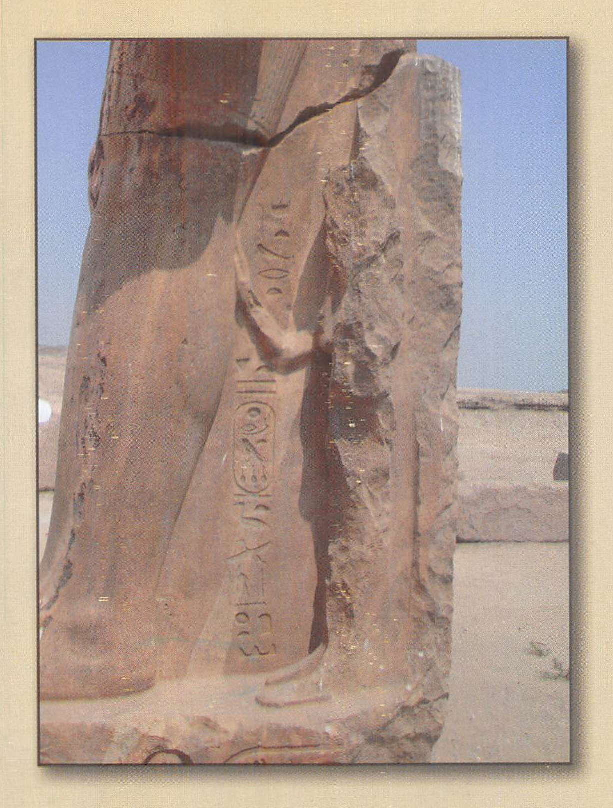
«مـا - آه - نفـرو - رع» وتحتَ الخرطوشِ الملكىِّ نقـرأُ لقبهَا وأصلهَا القادشـىَّ»: سـات - بات - عـا - إن - قادش». وقد كانتْ قـادشُ مدينةً محصنـةً إسـتراتيجيةً ذاتَ قلعةٍ حصينـةٍ فى المملكـةِ الحيثيَّة (جنوبَ الأناضولِ وشمالَ سوريَا الآنَ). وقد كَانوا أعداءً لمصرَ لفترةٍ طويلة واستمرتْ الحروبُ والمعاركُ بينهمَا لمدةِ سـنواتٍ عديدةٍ حتَّى أُبرمتْ اتفاقيةُ سلامٍ بينَ المملكتينِ المصريَّةِ والحيثيّةِ كانتْ الأولَى من نوعِها فى تاريخِ العالمِ (راجعْ كتابَ المؤلفِ: «السـلامُ فِى مصرَ الفرعونيـةِ» دارَ المعارفِ. ومن شروطِ تلكَ المعاهدةِ أنَّ رمسيسَ الثَّانى سوفَ يتزوجُ ابنتينِ من بناتِ ملكِ



تمثال ميريت آمون بين رِجْلَىْ رمسيس الثانى

وملكةِ الحيثيينَّ، كانتْ هذه السيدةُ صاحبةُ التمثالِ الصغيرِ المنحوتِ هنَا فى تانيس واحدةً منهمَا، وقد لُقِبتْ هنَا (يظهرُ اللقبُ منحوتًا بالهيروغليفيةِ أعلَى الخرطوشِ الملكىِّ) باللقبِ الملكىِّ «نسبو - حمت - ويريت» ومعناهُ السيدةُ المقدسةُ العظيمةُ.

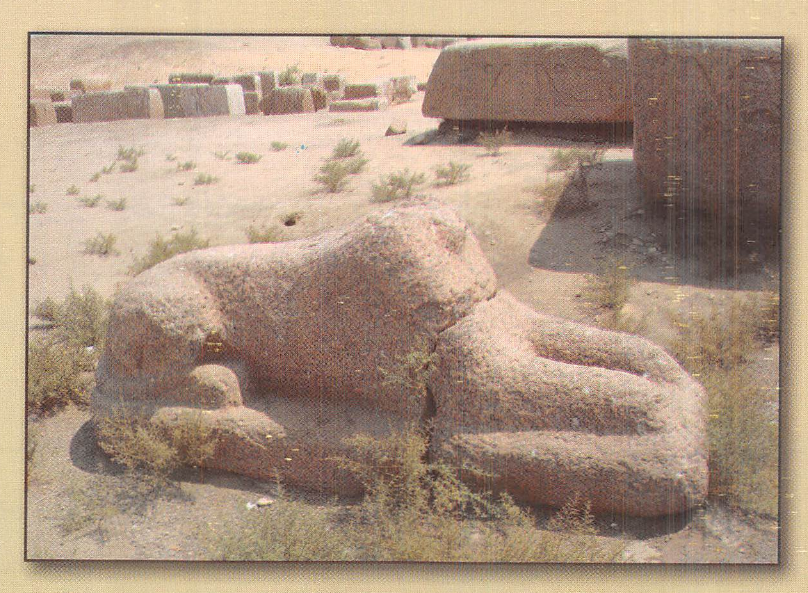
وراءَ هذَا التمثالِ الهام يوجدُ تمثالٌ غيرُ مكتملٍ لأَبى الهولِ ولذلكَ فهوَ خالٍ مـن المنحوتـاتِ الهيروغليفيةِ ولكنهُ بالتأكيـدِ كانَ رمزًا للحمايةِ.



تمثال الأميرة الحيثية منحوتًا بين رِجْلَىْ رمسيس الثانى

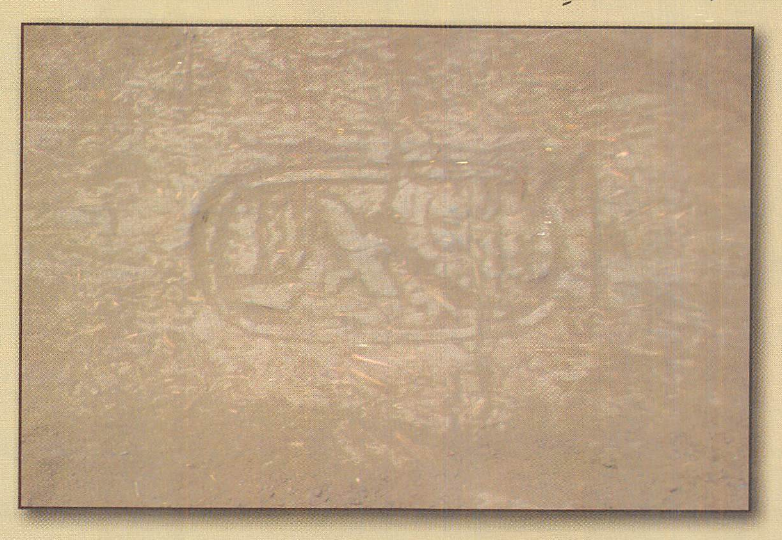
السـور:

يحيطُ بتانيس الأثريةُ سورٌ ضخمٌ من الحجرِ الطينىِّ علَى شكلِ مستطيلٍ، يصلُ سُـمْكُه إلَى حَوالى ٧ أمتارٍ وارتفاعُه حَوالى ١٠ أمتـارٍ. ويتوقع المنقبونَ أن هذَا السورَ الخاصَ والمحددَ للمنطقةِ من الممكنِ أن يكونَ عرضُه قد وصلَ فِى المَاضى إلى ٢٧ مترًا ويبلغُ عددُ الطوبِ الطينىِّ المسـتخدم لبنائه حوالى ٧ ملايين طوبة!! والمثيرُ فِى هذَا السـورِ أنَّ الطوبَ الذى شُـيدَ بهِ عليهِ خراطيشٌ ملكيةٌ منقوشةٌ بعنايةٍ ومنهَا اسـمُ الملِك «بسيوسينيس الأول» والذى حكمَ من عام ١٠٤٠ حتَّى ٩٩٢ قبلَ الميلادِ أى حكمَ حوالى ٤٨ عاماً !! وقد تمَّ الكشفُ أيضًا عن معبدٍ للملكِ



تمثال لأبى الهول غير مكتمل وفاقد الرأس

الليبىِّ «شيشونق الخامس» كانَ مكرساً لاحتفاليةِ «حب - سد» وهوَ اليوبيلُ الملكىُّ الذى يتمُّ فيهِ إعادةُ تتويجِ الملكِ ملكاً علَى أرضِ مصرَ العليَا والسفلَى.



خرطوش الملك «بسيوسينيس» على الطوب الطينى - سور تانيس

مكتشفونَ فِى مدينةِ تانيس :

جذبتْ تانيس بتفردِها العجيبِ العديدَ من علماءِ الآثارِ والشخصياتِ السياسيَّة المشهورةِ والمغامِرين. وقد كانَ لنابليونَ بونَابرت اهتمامٌ خاصٌ بهَا لدرجةِ أنَّه أمرَ بعملِ مسحٍ ودراسةٍ للمنطقة. ولمْ تسلمْ الآثارُ التانيسيةُ من يدِ المغامرينَ الذينَ استولوْا علَى بعضِ التماثيلَ وبعَثوا بهَا إلىَ خارجِ مصرَ لتبقىَ هناكَ حتَّى الآنَ.

فقدْ أخذَ «جون - جاك - ريفود» تمثالينِ كبيرينِ لأبى الهولِ منحوتَيْنِ من الجرانيتِ الوردىِّ إلىَ باريسَ وتمَّ ضمُهما إلىَ مجموعةِ الآثارِ المصريَّةِ فى مُتحفِ اللُّوُفر.

وقد انضمَ إلى اللُّوفر أيضاً بعضُ التماثيلَ التِى وجدَها «هنرى سولت» و «دروفيتى».

ولكنَّ أهمَ المنقبينَ وأشهرَهم كان « أوغسطس مارييت « الذى عملَ فى تانيس بين عامى ١٨٦٠ و ١٨٦٤ م، وقد اكتشفَ لوحةً مهمةً جدًّا من الناحيةِ التاريخية يُطلَقُ عليهَا «لوحةُ الأربعمائةِ عام» لأنهَا توثقُ لحدثٍ سياسىٍّ هامٍ حدثَ فى هذَا العامِ وتماثيلَ ملكيةٍ ترجعُ إلىَ عصرِ الدولةِ الوسطىَ.

وبعدَ «مارييت» النشيطِ جاءَ العالِمُ الفذُّ «فيليندرز بترى» البريطانىُّ وقامَ بالحفرِ والتنقيبِ بينَ عامى ١٨٨٣ و ١٨٨٦ م وقد تركَ لنَا هذَا العالمُ الدؤوبُ خريطةً للمعبدِ الكبيرِ وكشفَ عن العديدِ من الآثارِ والبردياتِ التى ترجعُ إلىَ العصرِ الرومانىِّ.

أمَّا عَن أهمِّ منقبٍ فى تاريخِ تانيس كانَ العالمَ الأثرىَّ الفرنسىَّ «بيير مونتيه» والذى عملَ فِى تانيس منذ عام ١٩٢١ إلى ١٩٥١ وفى عام ١٩٣٩ م قام «مونتيه» بالكشفِ عن مقابرَ ملوكِ الأسرتينِ الحادية والعشرينَ والثانية والعشرينَ ورغم

كمية الفضة الثمينة والذهبِ والقطعِ الفنيةِ البديعةِ التى تمَّ اكتشافُها إلا أن هذا الاكتشافُ لَمَ يأخذْ حظَه من الشهرةِ والنشرِ الإعلامىِّ العالمىِّ وذلكَ لظروفِ اندلاعِ الحربِ العالميةِ الثانيةِ التى غطتْ بأخبارِها علَى خبرِ الكشفِ العبقرىِّ.

والحقيقةُ أنَّ هناك خلطًا بينَ أصحابِ هذه المقَابرِ وأماكن دفنِ أصحابِها .فقد تمَّ استخدامُ المقَابر عن طريقِ أكثرِ من شخصٍ، فتجدُ تابوتَ الملكِ «شيشونق الثانى» الفضىَّ ذا رأس الصقر قد تمَّ العثورُ عليهِ فى مقبرةِ «بسيوسينيس». وتابوتَ الملك «تاكيلـوت الثانى» قد تمَّ العثورُ عليهِ فِى مقبرةِ «أوسـركون الثانى» وقدْ تناثرتْ النصوصُ الدينيةُ على جدرانِ تلكَ المقَابر الأربعَةِ بلْ لقدْ تمَّ استعمالُ أحجارَ معابدَ وآثارٍ أخرَى لملوكٍ سابقينَ لبنائها ، وقدْ كانتْ بعضُ تلكَ الأحجارِ منحوتةً بالنصوصِ الهيروغليفيةِ وهو ما أضفىَ نوعًا من الخلطِ بين الأزمنةِ والأُسَر.

ولكن ومع دراسـةِ اسـمِ ونصِ كلِّ ملكٍ علَى حده تمَّ تحديدُ ملكية كلٍّ منهُم لتابوتِه ومقبرتِه.

تماثيلُ أبى الهَولِ التَّانيسيَّةُ :

لـمْ يحظَ أىُّ أثر فى تانيسَ بشـهرةٍ وإعجابِ المشـاهدينَ والمهتمينَ بالآثارِ كمَا حظيتْ تلكَ المجموعةُ النادرةُ لتماثِيلَ أبى الهولِ التى تمَّ الكشـفُ عنهَا فى عامِ ١٨٦٣ م علَى يدِ عالم الآثارِ «ماريبت».

تاريخُ صاحبِ التماثِيل :

صاحبُ هذهِ التماثيلَ البديعةِ فى الأصلِ هوَ الملكُ النشيطُ «أمنمحات الثالث» (معْنى اسمه بالهيروغليفية «آمون فِى المقدمةِ» وهوَ يؤكدُ أنَّه فى فترةِ حكم هذَا الملكِ كانَ الرَّبُّ الشمسىُّ الأسطورىُّ «آموَن» أو «إيمن» (وهوَ النطقُ القديمُ الصَحيحُ للاسم) وكهنتُه ومعابدُه هم الأكثرَ انتشارًا وشهرةً وقداسةً. حكمَ الملكُ «أمنمحاتُ الثالثُ» من عام ١٨٤٢ إلىَ عامِ ١٧٩٨ قبلَ الميلادِ، إبَّان عصرِ الأسـرةِ الثانيةِ عشرةَ

ضمنَ أُسَرِ الدولةِ الوسطَى (قسم بعضُ المؤرخينَ القدامَى الأسرَ المالكةَ الفرعونيةَ إلى ٣٠ أسرةً والبعضُ الآخرُ قسمهم إلى ٣١ أسرةً). وقد اعتلَى هذا الملكُ الدؤوبُ عرشَ مصرَ العليَا والسفلَى بعدَ الملكِ «سنوسرت الثالث» الذى اشتُهر بحنكته العسكريةِ. وقد بنَى «أمنمحات الثالث» هرمًا عندَ مدخلِ الفيوم، وهوَ من الحجرِ اللبنِ المكسيِّ بالحجرِ الجيرىِّ. وقد تميزّ هذَا الهرمُ بدهَاليزه المتعددةِ والمضللةِ لأى لصٍ يحاولُ سرقةَ محتوياتِه الكائنة تحتَ الأرضِ. ومنْ أهم أعمالهِ بجانبِ تشييدِ المعَابد والأهراماتِ ونحتِ التماثيلَ، أنَّه بعثَ بالبعثاتِ العُماليةِ إلى شبهِ جزيرةِ سيناءَ لاستخراجِ المعادنَ مثلِ النحاسِ والفيروزِ وقطعِ الأحجارِ من المحاجرِ.

وقد ارتقَى هذَا الملكُ بالأحوالِ الاقتصاديَّةِ فى البلادِ إلَى أعلَى المرَاتب، فازدهرتْ النشاطاتُ التجاريَّةُ والمشروعاتُ المفيدةُ مثلَ شقِ الترعِ والمصَارفِ المائيةِ لأغراضِ ريِّ الأراضِى وتخضيرهَا. وتمَّ فِى عصرِه تحويلُ الفيومِ إلَى أنجحِ منظومةٍ زراعيةٍ فِى مصرَ. ولكلِّ هذه الأسبابِ اعتبرَه الكثيرُ من المؤرخينَ أهمَ ملكٍ مصرىٍّ قديم، ومنهمُ كاتبُ هذَا الكتابِ.

رمزيةُ تمثالِ أبى الهولِ :

يعتبرُ الأسدُ من أوائلِ الحيواناتِ التِى يُجلُّهَا المصرىُّ القديمُ حتَّى قبلَ توحيدِ القطرَين، وقدْ اتخذَه رمزًا للقوةِ والهيمنةِ والحمايةِ.

وقد كانَ ملكُ مصرَ يصفُ نفسَهُ «بالأسد الشجاع». ولذلكَ عَمَدَ كهنةُ ونحَّاتو مصرَ القديمةِ إلَى مزجِ الشخصيَّةِ الإنسانيَّةِ متمثلةً فِى رأسِ الملك معَ الجسدِ القوىِّ المتمثلِ فِى جسدِ الأسدِ، فنتجَ عن هذَا التزاوجِ الرمزىِّ فكرةُ أبى الهولِ والتِى تأثرتْ بهَا حضارتٌ أخرَى كالحضارةِ اليونانيَّةِ والرومانيَّةِ وغيرهمَا. وفى حالاتٍ أخرَى جنحَ النحاتُ إلى استبدالِ رأس الإنسانِ برأسِ كبشٍ «رمزُ الربِّ آمونَ» أو تمساحٍ فِى حالاتٍ نادرةٍ.



نحت لملك مصر على شكل أبى الهول الحامى - بجانب صرح المعبد

الوصفُ التفصيلىُ لأبى الهولِ التانيسىِّ :

فــى الحقيقةِ أنــه لا يوجدُ مَا يضاهى هذهَ التماثيلَ مــن حيثُ الارتقاءِ الفنىِّ والتوافقِ التشريحىِّ للعنَاصر الفنيةِ المكونةِ للتمثالِ وخصُوصًا أنَّ التمثالَ الواحدَ منحوتٌ من قطعةٍ واحدةٍ من الجرانيتِ الرمادىِّ القوىِّ.

فإذَا نظرنَا إلىَ قســماتٍ وجه الملكِ «أمنمحات الثالثِ» ســوفَ نجدُ أن النحاتَ حاولَ هنَا محاكاةَ الوجهِ الحقيقىِّ للملكِ بكلِّ سماتهِ البشريةِ العاديةِ وليسَ بالسماتِ الملكيةِ المشــهورةِ عن فراعنةِ الأســراتِ، ألاَ وهىَ الجمالُ والشــبابُ وعدمُ إظهارِ التجاعيــدَ وعلاماتِ التقدمِ فِى الســِّنِّ والكِبَر. فنجدَ أنَّ تحتَ العينَين تعمَدَ النحاتُ إظهارَ الانتفاخَ الناجمِ عنْ كِبَرِ السِّنِّ (تذكرْ عَزيزى القارئَ أنَّ الملكَ «أمنمحات الثالثُ» حكــمَ حوَالى ٤٨ عامًا)، ثمَّ نجدُ بعضَ التجاعيدَ الجلديةَ علَى جانبىْ الوجهِ والأنفِ.

وقدْ كانتْ هذه الصفاتُ المحاكيةُ للحقيقةِ من أهم ما تميزَ بهِ عصرُ الدولةِ الوسطَى وعصـرُ هذَا الملكِ علَى وجهِ الخصـوص. وأعتقدُ أنَّ لهذَا الملكِ أصولاً نوبيةً جنوبيةً أصيلةً وذلكَ يظهرُ فى شفتَيه الغليظتين وأنفه الجنوبىِّ الجميلِ. وقدْ تمَّ الكشفُ عنْ نص علَى برديةٍ قديمةٍ تقولُ إنه سوفَ يأتِى إلىَ عرشِ مصرَ رجلٌ يحكمُها تكونُ أُمُهُ نوبيةً جنوبيةً ويُدعى «آمنى»، ومن المعروفِ أنَّ «آمنى» هوَ اسمُ «أمنمحات».

وتغطِى منطقةَ الصدرِ والرأسِ العليَا الخلفيةَ لبدةُ الأسدِ (شعرُ الأسدِ فى هذه المناطقَ من جسدِه)، تظهرُ من خلالِها أُذُنَا الأسد. أمَّا عنْ جسدِ الأسدِ نفسِه فلقدْ أبدعَ النَّحاتُ عندمَا أظهرَ بشكلٍ واضحٍ عظامَ القفصِ الصدرىِّ للأسدِ، ممَا يدلُّ علَى قدرةِ نحاتِى مصرَ القديمةِ. حيثُ إنهمْ كانوا يهتمون بدراسة علمِ تشريحِ الحيوانِ والإنسانِ علَى حدٍ سوَاء معَ دراسة لفنِ النحتِ.

ومن فرطِ جمالِ هذه المجموعةِ من التماثيلِ البديعةِ جنحَ بعضُ الملوكِ إلىَ نسبها لأنفسـهم بنحتهم لأسـمائهم الملكيةِ وألقابِهم عليهَا. نجدُ مثلاً اسـمَ الملكِ «نحسى» الهكسوسىِّ، واسمَ الملكِ «رمسيس الثانى» وابنه الثالثَ عشَر «ميرينبتاح» ثمَّ اسمَ الملكِ الليبىِّ «بسيوسينيس». وأغلبُ الظَّن - وكعادتِهم - نقلَ الملوكُ الليبيونَ هذه التماثيلَ من مكانِها الأصلـىِّ إلَى «تانيس» لكَى يُضيفوا لمكانِهم المفضلِ المزيدَ من المصداقيةِ من ناحيةٍ، وإثباتِ أنَّهم تمصَّروا واصْطَبغوا بالصبغةِ المصريةِ من ناحيةِ أخرَى.

التماثيـلُ فى حالةٍ ممتازةٍ مـن الحفظِ وهى الآنَ تربـضُ بالمُتحفِ المصرىِّ ويصلُ ارتفاعُ التمثالِ الَّذى فى الصورةِ إلىَ ١٥٠ سـم وطولُه إلَى ٢٣٦ سم وعرضُه إلَى ٧٥سم.

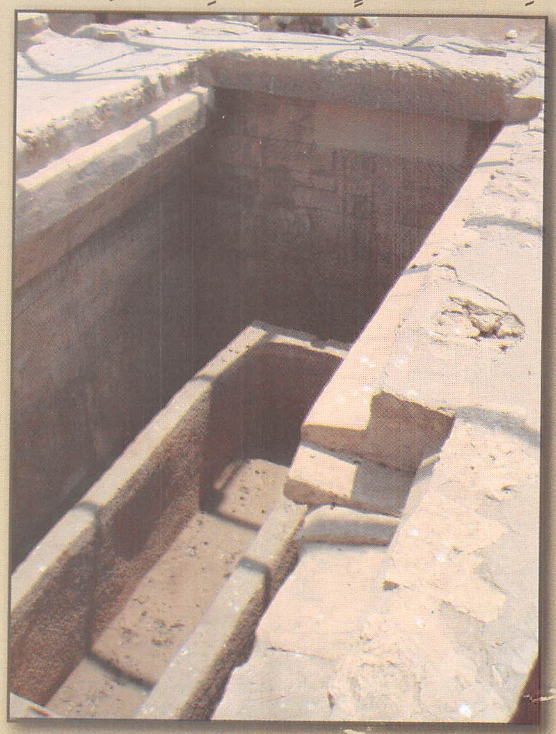
أنصحُك عزيزى القارئَ بزيارةِ هذَا المتحفِ ولا يفوتنَّك أنْ تمعنَ النظرَ فى تَفاصيل هـذه المجموعةِ وخصوصًا الخراطيشَ الملكيةَ المتناثـرةَ بنظام علَى الأجزاءِ المختلفةِ لجسدِ الأسدِ والقاعدةِ التى تمتلئُ بالنصوصِ الهيروغليفية البديعةِ والخراطيشِ الملكيةِ لرمسـيس الثانى لكَى ترى بنفسِـكَ كيفَ لَقَّبَ هذَا الملكُ نفسَه بألقابٍ مثل «نيسو -

بيتى» وهو اللقبُ الذى عن طريقه يؤكدُ الملكُ أنَّه الحاكمُ للشمالِ والجنوبِ ويرمزُ إليه برسمة النحلة ونباتٍ ذى ساقٍ ثمَّ تقرأُ لقبَ «سا - رع» والذى من السهلِ التعرفِ عليه لأنَّه عبارةٌ عن رسمٍ لأوزةٍ وبجانبِها دائرةُ الشمسِ، ومعنى «سا - رع» هو «ابن رع».

كنوزٌ تانيسيةٌ :

١ - أقنعةٌ ذهبيةٌ للملكِ شيشونق الثَّانى وتابوتٌ من الفضةِ لنفسِ الملكِ.

٢ - ٤٠٠ تمثال أوشابتى (تماثيلُ صغيرةٌ كانَ يعتقدُ أنها سوفَ تدبُّ فيهَا الروحُ وتجيبُ عنْ اسئلةِ وطلباتِ المتوفَى المبعوثِ فى الحياةِ الثانيـةِ) وأوانٍ كانوبيةٌ (أربعَ قارورات جميلةٍ كانَ يتمُ حفظُ أحشاء المتوفَى فى داخِلها لاعتقادِهم بأنه سوفَ يَتـم إعادةُ اسـتخدامِها فِى الحياةِ الأخرَى). وأوانٍ مـن الذهبِ والفضةِ وتابوتٌ من الجرانيتِ الوردىِّ. كلُ هذهِ الكنوزِ الثمينـةِ كانتْ للملكِ بسيوسـينيس فى حجرةِ رقمِ ٥ بمدفنـهِ وكانَ تابوتُ ذلكَ الملك من الفضةِ الثمينةِ ولكنْ يعتقدُ بعضُ العلماءِ أن تابوتَه الجرانيتىَّ الآخَـر كانَ مملوكًا للملكِ المصرىِّ «ميرينبتاح» (ابن رمسيس الثانى) ثمَّ أخذَه «بسيوسينيس» لنفسه، حيثُ كانت هذه الظاهرةُ منتشـرةً جدًا فِى عهدِ الأسرتين الحاديةِ والعشرِين والثانيةِ والعشرِين.



مقبرة شيشونق من الداخل

٣ - تابـوتُ الأميـرِ «عنخ - أف - أن - موت» والـذى يحتلُ الغالبيةَ العظمَى من مساحةِ المقبرةِ رقم ٣.

مقبرةُ شيشونق:

تعتبرُ هذه المقبرةُ أكثـرَ المقَابـر فنًـا وجمالاً. وقـدْ ظهرتْ براعةُ الفنانِ فى نحتِ المناظِرِ الدينيةِ علَى الجـدرانِ التى تحيطُ بالتابـوتِ الملكـىِّ. ويظهـرُ فـى هـذهِ المناظِرِ عيْنـا الرؤيةِ والحمايـةِ والشـفاء «وادجيـت» وتحتَهما تمَّ نحتُ منظرٍ جدارىٍّ لثعبانىِّ الكوبرَا وهُما يشكلانِ معًا منظرًا هرميًا بديعًا ونادرًا.



عينا الرؤية وثعبانا الكوبرا على طرفى شكل هرمى - مقبرة شيشونق

تنقيب القرن الحادى والعشرين :

مازالتِ البعثاتُ الأثريةُ تحفرُ وتكتشفُ فى صحراءَ تانيس ورمالِها المليئةِ بالكنوزِ الأثريةِ. وهنَاك المزيدُ من الآثارِ مازالتْ مخبئةً تحتَ سـطحِ الأرضِ وسوفَ تثبتُ الأيامُ أَنَّ تانيس لمْ تكشـفْ عَن نفسِها بالكاملِ بعدُ. ولكنْ مَازالتْ الأيدى المصريةُ تجتهدُ لتميطَ اللثامَ عن واحدٍ من أهمِ الأمَاكنِ الأثريةِ فى العالم. دعونَا نهتمُ بقراءةِ ودراسةِ وسياحة «تانيس» لكَى نكونَ بحقٍ جديرينَ بلقب «أحـفَاد الفراعنَة».



لمن يعشق التاريخ والبحث والترحال، دون تكلفة أو عناء سفر.. هذه فرصة ذهبية نضع فيها العالم بين يديك؛ لتمتع نظرك بصور ساحرة عن مدن هى نجوم وكواكب تدور فى فلك الحضارات، بما لها من تميُّز تاريخى أوجغرافى أو إنجازات حضارية تملأ النفس بسنابل من المعارف لا تجف.

صدر منها :

1- مدينة الأقصر .. مقر الشمس

2- منف .. مدينة الأوائل

3- تانيس.. مدينة من الماضى

4- كارانيس .. مدينة الأطلال الفريدة



٢٥٧٥٤٧/ ٠١